فصل

واعلم أن الشهوة مما يتمدح العرب بكثرته والفخر بوجوده
كالنكاح والجماع لأن النكاح مشروع شرعا وعادة
وأنه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل التفاخر
بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية
وأما في الشرع فسنة ماثورة وقد قال ابن عباس
أفضل هذه الأمة أكثرها نساء مشيرا إليه صلى
الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام تناكحوا
تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيمة ونهى عن التبتل
مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر الذي نبه
عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا
طول فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج
حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سهل
ابن عبد الله قد حببن إلى سيد المرسلين فكيف نزهد
فيهن ونحوه لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة
كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي في
ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء
وقد كره غير واحد أن يلقى الله عزبا فإن قلت
كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى

ابن

ابن زكريا قد أثنى الله عليه أنه كان حصورا فكيف
يثني الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة
وهذا عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان
كما قررته لنكح فاعلم أن ثناء الله على
يحيى بأنه حصور ليس كما قال بعضهم إنه كان
هيوبا أو لا ذكر له بل أنكر هذا حذاق المفسرين
ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق
بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وإنما
معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه
حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل
ليست له شهوة في النساء فقد بان لك
من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص وإنما الفضل
في كونها موجودة ثم قمعها إما بمجاهدة كعيسى
أو بكفاية من الله كيحيى فضيلة زائدة
لكونها مشغلة في كثير من الأوقات حاطة إلى
الدنيا ثم هي في حق من أقدر عليها وملكها وقام
بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا
وهي درجة نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله
كثرتهن عن عبادة ربه بل زادته ذلك عبادة لتحصينهن

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)